نبراتُ الحزنِ في حبسيات مسعود سعد سلمان وأسريات المعتمد بن عبّاد (دراسة مقارنة)

الدكتور شهريارهمتي*

رضاكياني**

الملخص

إنَّ ابتعادَ أيّ إنسانٍ عن الأهل والأصدقاء، أمرٌ محزنٌ يولد الإحساس بالألم والحزن، وغالباً ما يحدث هذا الأمر لِظروف خارجة عن إرادة الإنسان كالأسر أو الانحباس. إنَّ الظروف المريرة التي عاشها الشّاعرانِ مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد في الأيام التي قضياها في السّجن، ساقتهما إلى نظْمِ الأشعار التي تعبر عن عواطفهما تجاه الحياة؛ فشعر السّجن عند مسعود سعد هو ما اصطُلح على تسميته بـــ (الحبسيات)، وهذا الشعر عند المعتمد يسمّي بـــ (الأسريات). تمتاز هذه الأشعار بالميزات التي جعلتها نوعاً خاصّاً من الأدب، ومِنْ هذا المنطلق يتصدى هذا البحث لدراسة شعر السّجن الذي ظهر في الأدب الفارسي والعربي ليعرّف بالمضامين المشتركة في هذينِ الأدبينِ وفق رؤية تحليلية لدى الشّاعرينِ مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد بالاعتماد على المنهج التوصيفي- التحليلي.

من النتائج المتوخاة من هذه الدراسة نرى مدى تعلّق النصوص بعضها ببعض، فتنشأ المضامين المشتركة في شعر مسعود سعد والمعتمد بن عبّاد عن إحساسهما المشترك تجاه الظروف المريرةالتي قضياهافي السّجن.فالسّجن ومايترتب عليه من الآلام والمصائب كان السبب الرئيس لِنظمِ القصائد التي تَحْمِلُ صعوبةَ العيش في غياهب السّجن ومرارة القيود والسلاسل وأثرها في الروح والجسم والشّكوى من الدَّهر والتبرّم بالدّنيا ورثاء أهل البيت.

كلمات مفتاحية: السّجن، الحبسيات، الأسريات، مسعود سعدسلمان، المعتمد بن عبّاد

---

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة رازي، إيران.

** طالب الدّكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة رازي، إيران.

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٤/١= ٢٠١١/٦/٢٢ تاريخ القبول: ١٣٩٠/٧/٣ = ٢٠١١/٩/٢٥

المقدمة

لو تصفّحنا مصادر الأدب في فترات مختلفة لَوَقفنا على كثير من المقطعات والقصائد الشّعرية التي قالها الشّعراء في السّجن، عبروا فيها عمّا يعتلج في نفوسهم من نبرات الحزن والكآبة. ففي جحيم السّجن وديا جير الظلام الدامس، يأخذ الشّاعر السّجين قلمَهُ لِيحاكي واقعه وحياته الجديدة ويغمسه في الوجدان ليصوّر تجربة الأسر والمعاناة، ويسطر ملاحم الصمود، في نصوص لا أصدق ولا أعذب منها. وقد تراوحت تلك النصوص بين وصف السّجن ووصف الحال فيه، ومعاناة السّجين من القيود والسّلاسل والظلام. وجاءت بعض النصوص لتعبر عن تباريح الشّوق إلى الأهل والأحبة، والحريّة والانطلاق من القيود، وتناول بعضها حديث النفس (الذات)؛ ففي ظلام ليالي السّجن ومن بين القيود والسلاسل تنطلق النفس وينطلق الفكر يجوبان صفحات الماضي؛ فيسترجعان صوره الجميلة وذكرياته الحبيبة وشخوصه ومواطن اللقاء بين الأحبة يعيشان معها لحظات من السعادة المفقودة منسلخين عن حاضرهما المرير.

السّجن تجربة ثرية لمن ابتلي بها من الشّعراء على مرّ العصور. والشّعران الفارسي والعربي زاخرانِ بالشّعراء الذين عانوا تجربة السّجن أو الأسر؛ ففاضت قرائحهم شعراً ثائراً ناطقاً بروح المقاومة وإرادة الحياة. فشعر السّجن هو الشّعر الإنساني النضالي الذي ولدَ في ظلام الزنازين وخلف القضبان الحديدية، وخرج من رحم الوجع والمعاناة النفسية، والمعبّر عن مرارة التعذيب وآلام التنكيل وهموم السّجين.

من هذا المنطلق، قضى الشّاعرانِ مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد، باعتبارهما نموذجينِ ممتازينِ للشعر الفارسي والعربي، سنوات طويلة من حياتهما في السّجن بعيدينِ عن الأهل والديار. إنَّ الظروف التي عاشها الشاعرانِ في هذه السّنوات ساقتهما إلى إنشاد الأشعار التي تعبّر عن عواطفهما تجاه الحياة المريرة داخل السّجن. تمتاز هذه الأشعار بالميزات المشتركة التي جعلتْها نوعاً خاصّاً من الأدب، وهذه الميزات تنبع من الظروف الصعبة المدهشة التي واجهها الشّاعران في الحبس.

فالسؤال الذي يُطرح هنا، يتلخص في ما يلي: ما هي أهمُّ المضامين المشتركة التي تحتّنا على المقارنة بين هذينِ الشّاعرينِ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه مِنْ خلال استعراض وجوه التشابه في أعمالهما الشعرية بالإعتماد على المنهج التوصيفي- التحليلي.

وقدكُتبتْ دراساتٌ عديدةٌ حول الشّاعرينِ مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد خلال السّنوات الأخيرة، منها: مقالة "روميات أبي فراس الحمداني وحبسيات مسعود سعد سلمان (دراسة مقارنة)"[١] ومقالة "الحبسيات العربية والفارسية اعتماداً على حبسياتِ أبي فراس الحمداني ومسعود سعد سلمان"[٢] ومقالة "أسريات المعتمد بن عبّاد (دراسة نقدية)"[٣] وأطروحة "تجربة السّجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد"[٤]

وقد حفلتْ هذه الأبحاث والدراسات بالعديد من الملاحظات والاستنتاجات النقدية المفيدة، ولكن مما لاريب فيه أنَّ المقارنة بين السّجنيات، ودلالاتها في البناء الشعري ضمن تجربة الشّاعرينِ: مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد، تكشف عن عمق الرؤية الإنسانية، وتضعنا على مقربة من النصّ الشعري في الأدبينِ المختلفينِ، لذلك، يمتاز هذا البحث بخصوصية فريدة، لم يزاوله أحدٌ من الباحثين، في ما نعلم،وما أكثرما لانعلم!، ويكون مغايراً إلى حدّما لماكتب من دراسات أخرى.

نبذة عن حياة مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد

كان مسعود سعد سلمان من أشهر شعراء الفرس"ولد على الأصح[٥] في مدينة (لاهور)[٦] بين عامي ٤٣٨ إلى ٤٤٤هـ، في عهد السّلطان(مودود بن مسعود الغزنوي)،

---

[١] –محمدهادي مرادي وصحبت الله حسنوند، *نشرة التراث الأدبي*،العدد الثاني، سنة١٣٨٨هـ.ش

[٢] – أحمد الزغلول، *نشرة الرسالة الفارسية*، العدد الأول، سنة١٣٨٢هـ.ش

[٣]–محمد سليمان سعودي وخالد سليمان الخلفات،*مجلةجامعةدمشق*،العدد الأول،المجلد٢٧، ٢٠١١م

[٤] – عامر عبدالله، *تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عبّاد*، سنة ٢٠٠٤م

[٥]– لم يذكر تاريخ ولادة مسعود سعد سلمان في كتب التواريخ والمصادر الأدبية، لكن المؤرخين يعتقدون بأنَّ ولادته كانت بين ٤٣٨و٤٤٠هـ مرجحين سنة ٤٣٨هـ.(لمزيد من التوضيح، أنظر مقدمة ديوان مسعود سعد، تصحيح رشيد ياسمي)

[٦]- تقع مدينة لاهور الباكستانية في الشمال الشرقي من البلاد، وهي مدينة تقع على نهر رافي،

وعاش إلى أوائل حكم (بهرام شاه الغزنوي). نشأ مسعود في مَسقط رأسه (لاهور)، و"أقبل على تعلّم العلوم، وبما أنَّ أباه كان في المناصب الديوانية، فقداهتمَّ الشّاعر بالشعر والكتابة".[١] "ينتمي مسعود إلى أسرة ذات منزلة رفيعة ومكانة عالية، ومشهورة بالعلم والفضل والرئاسة. رحلتْ هذه الأسرة إلى مدة طويلة تناهز ستين عاماً، تسنم خلالها مناصب عديدة".[٢]

"ارتقى الشّاعر مسعود سعد إلى المناصب الرفيعة في بلاط (سيف الدولة محمود)؛ وهو أثارَ حسدَ أعدائه فوجهوا التّهم السّياسية ضدّه، حيث اتّهموا(سيفَ الدولة محمود) وعدداً من رجاله ومِنْ بينهم مسعود سعد بأنَّهم في صدد الذّهاب إلى مدينة (خراسان) ليشاركوا (ملك شاه السّلجوقي) مُدبّرين مؤامرة ضدّ السّلطان (إبراهيم الغزنوي)".[٣] "كانتْ لهذه الجريمة عواقبُ سيئةٌ أسفرت عن عزل (محمود) وحبسه، كما أمر السّلطان بحبس الشاعر لمدة عشر سنوات في قلاع (سو)، و(دهك) و(ناي)"[٤]

"انتهت المرحلة الأولى من حبس الشّاعر بعد أن أمر السّلطان بإطلاق سراحه، فاهتمَّ بما كان يمتلكه من الأملاك في (لاهور) بعد أن تخلّص من الحبس. وبدأت المرحلة الثانية من حياة الشّاعر في عهد السّلطان (مسعود الثالث بن إبراهيم) ووزيره (قوام الملك نظام

القريب من الحدود الهندية وهي عاصمة إقليم البنجاب وتعتبر أيضاً العاصمة الثقافية لباكستان. وكانت لاهور في عهد الغزنويين القاعدة الإسلامية التي انطلق منها الإسلام إلى شبه القارة الهندية.(لمزيد من التوضيح حول هذه المدينة، أنظر موسوعة المدن الإسلامية لآمنة أبو حجر)

[١] – فروزانفر، *سخن وسخنوران*، ٢٠٧

[٢] – سهيلي خوانساري، *حصار نای*، ص١٤

[٣] – صفا، *تاريخ ادبيات در ايران*، ٢٨١/١

[٤]– زرين كوب، *با كاروان حلّه*،٧٦ذُكرَ في هامش كتاب ((طبقات الناصري)) تأليف منهاج السراج أنّ هذه القلاع داخل حدود الدولة الغزنويّة وكانت واقعة بين الجبال الوعرة بفاصلة قريبة أوبعيدة عن مدينة غزنين. وقد عبّر الشّاعر مسعود عن سجنه في هذه القلاع في البيت التالي:

هفت سالم بكوفت سو و دهك پس از آنم سه سال قلعه نای

(سعد سلمان،ديوان، ص٤٢)

سبع سنين بِتُّ في سجنَيْ«سو»و«دهك» بِعناءٍ ونَصَبٍ،ثمّ قضيتُ ثلاث سنوات في قلعة «ناي».

الدين أبا نصر الفارسي). فلمّا سلّم (أبونصر الفارسي) أمارةَ (چالندر) في (لاهور) إلى مسعود سعد، أثارت ذلك حسد الحاسدين، وبما أنَّ (أبانصر) مهّد الطريق لإمارة الشّاعر قصد الأعداء والحاسدون هذا الشخص وأصحابه خاصّة مسعود سعد، وفي نهاية الأمر، أمر السّلطان بسجن الشاعر في قلعة (مرنج)[١]؛ فبدأت المرحلة الجديدة من حياة الشاعر في الحبس من سنة ٤٩٣هـ وامتدت إلى ٥٠٠هـ، وتخلّص من الحبس بعد أن بلغ اثنين وستين منْ عمره. فقد توفي مسعود سعد سنة ٥١٥هـ".[٢]

"يعدُّ مسعود رائد (فنّ الحبسيات) في الأدب الفارسي بلامنازع. إذ إن سنين السّجن الطويلة قامت بِدورٍ هامّ في ازدهار قريحته الشعرية في نَظْمِ الأشعار التي قلَّما نجد لها نظيراً في الأدب الفارسي. وكان مسعود قوي الثقافة، واسع المعرفة، فقد درسَ العربية وآدابها ودرسَ علم النجوم وعلوم القرآن والحديث".[٣]

كذلك كان المعتمد بن عبّاد من أشهر شعراء العرب "فقد ولد في مدينة (باجة)[٤] ونشأ في مدينة (إشبيلية)[٥] في أسرة ذات سيادة وحكم وجاه".[١] وكانت ولادته عام ٤٣١هـ،

---

[١]- كانت قلعة «مرنج» واقعة بين الجبال المرتفعة داخل حدود الحكومة الغزنوية بفاصلة بعيدة عن مدينة غزنين. (لمزيد من التوضيح، أنظر هوامش كتاب طبقات الناصري لمنهاج السّراج)

[٢] – فروزانفر، *سخن وسخنوران*، ٢١٠-٢٠٩

[٣] – الزغلول، *تأثير الأدب العربي في أشعار الشاعر الفارسي مسعود سعد اللاهوري*، ص ٦١

[٤]- مدينة «باجّة» أو «فاقا» كما سماها الرومان تمتدّ جذورها إلى العهد اللوبي والعهد القرطاجي (٢٦٠ق.م) حيث لعبت دوراً طلائعياً في الحروب البونيقية وقد بلغت درجة كبيرة من المجد في عهدي ماسنيسا ويوغرطة، حيث اكتسبت صفة المدينة يدير شؤونها مجلس الأعيان. وتمَّ فتح باجة على يد التابعي معبد بن العباس ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو دفين مرج باجة (٦٥٥م) ثمَّ زهير بن قيس البلوي (٦٩٣م) للقضاء على المرتدين من البربر، وقد توطّد الفتح نهائياً على يد حسّان بن النعمان حيث استرجعت المدينة مكانتها كمركز إداري وعسكري واقتصادي وديني لكامل منطقة الشمال الغربي(لمزيد من التوضيح حول هذه المدينة، أنظر موسوعة المدن الإسلامية لآمنة أبو حجر)

[٥]- تقع مدينة إشبيلية في الأندلس (إسبانيا حالياً) وفتح المسلمون هذه المدينة في شعبان ٩٤ هـ / ٧١٣ م بقيادة موسى بن نصير.(لمزيد من التوضيح حول هذه المدينة، أنظر موسوعة المدن

بسبع سنوات قبل أن يولد مسعود سعد أو ٤٣٢هـــ".[٢]كان والده ملكاًعلى(إشبيلية)،وعندما مات، اعتلى المعتمدُ العرشَ وتَبَوَّأَ الحكمَ سنة ٤٦١هـــ.ق، وهو في الثلاثين من عمره". [٣]

وقد كان المعتمد بن عبّاد شاعرًا يقدر الشّعر حق قدره، ويحب مجالسة الشّعراء. وقد تجمعت للمعتمد "أسباب كثيرة ألهبت عواطفه على اختلاف أنواعها؛ فهو محبّ مدمن على الشراب، تلعب به عواطف الحبّ، ثم تلهبها الخمرة. ومن ناحية أخرى، يعتز أحياناً بملكه، فتمدحه الشّعراء وألهبوا فيه شعور المجد والفخر. وقد فقد ولديه في بعض الحروب، وكانا شابينِ، وأخيرًا ذهب عنه عزّه وملكه، فذلّ بعد العزة، وهان بعد العلو، وافتقر بعد الغنى".[٤]

ولتوضيح الحال التي وصل إليها المعتمد بن عبّاد من بداية القبض على مصير (إشبيلية) حتّى أيام سجنه، تجدرُ الإشارة إلى أنَّ "دولةَ (بني عباد)، إحدى دول الطوائف التي قامتْ بعد الفتنة البربرية في (قرطبة) سنة ٣٩٩ هـــ.ق، حيث سقطتْ بعد هذه الفتنة الخلافةُ الأموية، وأصبحت الأندلسُ موضعاً للنزاعات والصّراعات الداخلية والحروب بين هذه الدول، واستطاع (بنو عباد) أن يكوّنوا دولة قوية، مركزها (إشبيلية)، وحارب (بنو عباد) بعض دول الطوائف، وحققوا انتصارات ولم يتورع المعتمد في عقد تحالفات مع (ألفونسو السادس) حاكم قشتالة[٥] الإسباني، وبعث وزيره (ابن عمار) ليتفاوض معه، وتمكن (ابن عمار) من عقْد معاهدة سريّة من بنودها السّرية أن يترك المعتمدُ (ألفونسو السادس) لاحتلال مدينة (طليطلة)[٦] مقابل أن يدفع المعتمد الجزية لـــ (ألفونسو)، وقد تحقق

الإسلامية لآمنة أبو حجر).

[١] – الزركلي، *الأعلام*٧/٥٠.

[٢] – فروخ، *تاريخ الأدب العربي* ،ص٧١٣.

[٣]- السعودي والخلفات، *أسريات المعتمد بن عبّاد*،ص ١٩٩.

[٤] – أمين، *ظهر الإسلام*، ١٧١/٢.

[٥]– مملكة قشتالة واحدة من ممالك العصور الوسطى في شبه الجزيرة الإيبيريه وقد اشتق اسمها من كلمة كاستل (=القلعة) بسبب كثرة القلاع فيها. (لمزيد من التوضيح، ارجع إلى كتاب انبعاث الإسلام في الأندلس، لعلي المنتصر الكتاني).

[٦]– طليطلة مدينة قديمة في أسبانيا تقع في وسط شبه جزيرة أيبريا، فكانت هذه المدينة إحدى

حلم (ألفونسو) بعد مدة قصيرة، فسيطرَ على (طليطلة) سنة ٤٧٨هـ.ق، ولم يتوقف (ألفونسو) عند هذا الحدّ، بل احتلَّ مدناً وحصوناً أخرى، وأحسَّ المعتمد بخطورة الموقف، فطلب العون من (المرابطين)[١] في المغرب بقيادة (يوسف بن تاشفين)، وحذرته الحاشية منه خوفاً من أطماع (المرابطين)، لكنه رفض وقال قولته المشهورة: (لأن أرعى الجمال عند ابن تاشفين خير من أن أرعى الخنازير عند ألفونسو)، ونصره (ابن تاشفين)، ووقعت معركة (الزلاقة) الشهيرة[٢]، ودحر الجيش الإسلامي جيوش الإسبان. ثم عاد (ابن تاشفين) إلى المغرب، وعاد المعتمد مرة أخرى إلى لهوه ومجونه فعاد (ابن تاشفين) ليقاتل حليفه بالأمس المعتمد بن عباد، فحاصر مدينة (إشبيلية)، ودافع المعتمد عنها دفاعاً مريراً، حتى سقطتْ عاصمة الدولة، فقبض على المعتمد، وأُخِذ أسيراً وسجن في زنزانة (أغمات) بالمغرب، وقيِّد بالحديد ليذوق أعلى درجات الذل والهوان بعد حياة السّعادة والرفعة، إلى أن مات سنة ٤٨٨ هـ.ق".[٣]

حواضر الدنيا التي نقشت اسمها على خارطة التاريخ منذ كانت قاعدة للإمبراطورية الرومانية في شبه الجزيرة الأيبيرية، إلى أن تحولت إلى وحدة من أكبر حواضر العالم الإسلامي في العصر الوسيط. (لمزيد من التوضيح حول هذه المدينة، انظر موسوعة المدن الإسلامية لآمنة أبو حجر)

[١]- نشأت دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري خارج نطاق المغرب بشمالي أفريقيا، ولكن القبائل التي أنشأتها هي قبائل صنهاجة المغربية. (لمزيد من التوضيح، انظر كتاب «سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس لحسين مؤنس»)

[٢]- معركةُ الزلاقة وقعتْ في ٢٣ أكتوبر ١٠٨٦م بين جيوش دولة المرابطين متحدة مع جيش المعتمد بن عبّاد والتي انتصرتْ على قوات الملك القشتالي ألفونسو السادس. كان للمعركة تأثير كبير في تاريخ الأندلس الإسلامي، إذ إنها أوقفت زحف النصارى المطرد في أراضي ملوك الطوائف الإسلامية وقد أخرت سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس لمدة تزيد عن قرنين ونصف. وقعت المعركة في سهل في الجزء الجنوبي لبلاد الأندلس يقال له الزلاقة. يقال أن السهل سمي بذلك نسبة لكثرة انزلاق المتحاربين على أرض المعركة بسبب كمية الدماء التي أريقت ذاك اليوم وملأت أرض المعركة (لمزيد من التوضيح، انظر كتاب معركة الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، لشوقي أبوخليل) .

[٣]-المراكشي،*المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتحها إلى آخر عصر الموحدين*،ص٢٠٦.

وفي السّجن، أنشد المعتمد أجملَ قصائده المسماة بـــ (الأسريات)، التي عبرتْ عن تجربة حقيقية لحياة الذل التي عاشها هذا الملك في سجنه بعد حياة العزة والمجد، حيث توقف كثيراً في محطاته الشّعرية الأسريّة هذه مع أحواله قبل السّجن حين كان ملكاً حاكماً يصول ويجول،ويحقق الانتصارات العظيمة،ويقارنها بما آل إليه أمره الآن، ولم يمنعه هذا الحال من التعبير عن آلامه وأحزانه وتجربته بهذه القصائد التي تفيض رقة وعذوبة".[١]

المقارنة بين الشاعرينِ في شعر السّجن

(السّجنيات) هي تلك القصائد التي كتبها أصحابها خلف قضبان السّجن. فـــ"شعر السّجن عند مسعود سعد سلمان، هو ما اصطلح على تسميته بـــ (الحبسيات)،[٢] التي تعتبر لباب شعره، وصفوة إنتاجه، وهي القصائد التي نظمها الشّاعر وهو سجين يقاسي مرارة القيد، وصعوبة البُعد عن الأهل والأحباب".[٣] وكذلك "في السّجن قال المعتمد بن عبّاد أجمل قصائده الشعرية المسماة بـــ (الأسريّات)، التي عبرت عن تجربة حقيقية لحياة الذل التي عاشها هذا الملك في سجنه بعد حياة العزّ والمجد".[٤] فإنَّ الناظر في محنة مسعود سعد سلمان وأشعاره في السّجن لا يلبث أن تعود به الذاكرة إلى محنة المعتمد بن عبّاد وأسريّاته. وذلك لما بين الشاعرينِ من ظروف متقاربة،تتجلى بحياة العزّ والمجد من جهة، ولما نزل بساحة الشاعرينِ من ألم المحنة و عذاب السّجن من جهة أخرى. قد أثر السّجن في شعركلّ من هذينِ الشاعرينِ؛ فكانت حبسيات مسعود مرآة تعكس مرارة البُعد عن الأهل والأحباب، كما كان لأسريّات المعتمد وقع كبير على نفسه، وهي تعكس عواطف الشّاعر وأحزانه العميقة.

---

[١] – نفس المصدر، ص٢٠٠.

[٢] – قدكان كتاب (مجمع النوادر) أو (المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب) لأحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي من أقدم المراجع المكتوبة التي أُستعملت فيها لغة الحبسية. (ظفري،١٣٧٥هـــ.ش:١٩).

[٣] – ظفري، *حبسيه در ادب فارسى از آغاز شعر فارسى تا پايان زنديه*، ص٢٠.

[٤] – السعودي والخلفات، *أسريات المعتمد بن عبّاد*، ص٢٠٠.

وبالنظر إلى المضامين المشتركة في شعر مسعود والمعتمد في السّجن، نجد تنوعاً فيها، ويمكن تفصيل هذه المضامين التي تعبر عن نبرات الحزن والكآبة في نفوسهما، على النحو الآتي:

السّجن ومرارةُ القيد

في غياهب السّجن عندما تصبح رؤية الشّمس أمنية أَشْبَهَت بالخيال بالنسبة للشاعر المسجون، يهمس بها لسانه المقيَّد بكلمات مكبلة؛ فالشّاعر السّجين طالما يتغنى بالشعر، راسماً عبره نبرات حزنه العميقة، ويشكو من مرارة القيد الذي أدمى يديه وساقيه. فما أكثر الشّعراءَ الذين حُبسوا خلف القضبان الحديدية! "وما أكثر الأشعار التي قيلت في مرارة القيود الفولاذية! فبددت معاني هذه الأشعار بنور توهجها ظلامَ السّجون الدامسَ، وتنسمت قوافيها نسائمَ الحرية، وخرجت من غياهب السّجون ودياجيرها، لتصبح تاجاً مرصَّعا على هامة الخلود".[١]

يلتقي الشّاعرانِ مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد في الشّكوى من القيد، وفي الحديث عنه؛ فمرارة القيد في حياتهما في السّجن عامل من عوامل التقاء الشّاعرين اللذين بلغا الغاية في وصف آلامهما النفسية وشقائهما الروحي الذي لا مدى بعده لألم متألم. وجدير بالذكر أنَّ الشّكوى من القيد تحتل المركز الدلالي في وعي الشّاعرينِ، فهي مناط تركيزهما، وتقع في محور اهتمامهما ومعاناتهما الشّعورية، وهي المحرك الأساس لقلقهما.

وقد عانى مسعود سعد في سجنه من القيد وقسوته، وعمَّقَ إحساسه بالحزن والحسرة. فالقيد وما نتج عنه من آلام نفسية، قد ترك أثراً في نفس الشاعر، انعكس بالتالي على شعره،فنراه يشبه القيد ومرارته بالثعبان وسُمّه:

از زهــرِ مار و تیزیِ آهن بُوَد هلاك با مارِ حلقه گشته زآهن چگونه‌ای؟[٢]

تدورالأيام وتتعاقب الأعوام على الشاعر في قيود كالأفاعي في الطول وكُبول كالجبال في الثّقل،فلا تنقشع كآبة الشاعر ولا تهدأ نفسه،لأنَّه دائم التفكير في مرارةالقيد الذي أَقْعَدَهُ:

---

[١] – البرزة، *الأسر والسّجن في شعر العرب*، ص١٢

[٢] – سعد سلمان، *الديوان*، ص ٢٢٩. كلٌّ مِنْ سمّ الحيّة وحِدّة الحديد موجبان للهلاك، فَمَا تصنعُ أنتَ وَحيّة مِنْ حَديدٍ وقد التوت على رجلك؟

ـ اژدهـــا بود خُـفتـــــه بر پايـم نتــوانستـم آن زمـــــان، برخاسـت
ـ پایِ مـن زيرِ كـــوهِ آهـــن بُوَد كـوی برپای، چـون توان برخاست؟[١]

على هذا النحو، نرى أنَّ الشّاعر مسعود سعد استطاع أن يبني جوّاً مُزْعِجاً لما يعانيه من خلال تشبيه قيده بالأفعى أو الثعبان، لأنَّه أزعج من القيد، ووجد نفسه يرزح تحت عبء كبلٍ لا يستطيع دفعاً لضجره وسأمه، وهذا متوقع من سجين مكتئب؛ فمن المعلوم أن المكتئب السجين لا يستطيع أن يقومَ،ولايميل إلى الإقدام على عمل،بل لايملك قدرة التفكير المثمر، فكآبته تدفعه إلى الإحجام عن القيام بعمل، لأنَّه في عذاب من ثِقْل قيده، فظلَّ في جمود لا يقدر على شيء، إلاَّ أنّه استنهض همته شيئاً ما ولم يجد لنفسه تلهية ولا تسلية إلاَّ في نظم الشّعر على نحو خاصّ، لذلك يقول الشّاعر أيضاً في تشبيه قيده بالأفعى أو التِّنِّين:

اژدهابين،حلقه گشته خُفته زيرِ دامنم! ز آن نجنبم،ترسم آگه گردد اژدرهای من![٢]

هذا البيت في الحقيقة ما هو إلاَّ محاولة من الشّاعر لوضع نفسه في مصاف مصائب السّجن، فإنَّه محزونٌ، لأنَّه يرى القيد الذي أقْعَدَهُ يلازمه دائماً.

كذلك حينما ننتقل إلى شعر المعتمد بن عبّاد، نجد أنَّه كمسعود سعد، قد شكى من القيد الذي أقْلَقَهُ في غياهب السّجن، فكان القيد رفيق سوء يلازمهُ كلَّ يومٍ. من أجل ذلك كان للقيد نصيب بارز من شعره، وقد نظم فيه أشعاراً حزينةً، صوَّر فيها القيد وما عليه من قسوة من ناحية، وما عاناه الشّاعر من القيد من ناحية أخرى. "والقيد شيء تنفر منه النفوس البشرية؛ فلا أحد يرضى بالقيد ملازماً له، فكيف بملك اعتاد تربُّع الأسرَّة أن يجد نفسه فجأة تحت وطأة قيد مشؤوم!"[٣] لذلك كان المعتمد يتبرم من تلك المفارقة وقد شبّه مرارة القيد على ساقيه مشبهاً عضّه بعَضِّ الثعبان الأسود، إذ يقول:

تبدَّلــتُ مِــنْ عِـــزِّ ظِـلِّ البنــودِ بذلّ الحــديــدِ، وَ ثِقْــلِ القُــيودِ

---

[١] – *نفس المصدر*، ص١٧٥.
الثعبانُ نائمٌ عَلَى قَدَمي، إذاً فلا أستطيعُ النّهوضَ.
قَدَمي تحتَ جَبَلٍ مِن الحديدِ، فَكيفَ يستطيعُ النهوضَ مَنْ كانت رجلاه تحت جَبَلٍ؟
[٢] – نفس المصدر، ص١٥٢.اُنظر إلى الثعبان كيفَ نامَ تحتَ ثوبي، فلا أتحرّك، خوفاً مِنْ يقظتهِ.
[٣] – عبدالله، *تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عبّاد*، ص١٥٨

وَكانَ حَـديـدي سـناناً ذليـقاً وَعضـباً رَقيـقاً صقـيلَ الحـديدِ
فَـقَـدْ صَـارَ ذاكَ وَ ذا أدهـماً[١] يَعَـضُّ بساقـيَّ عـضَّ الأُسـُودِ[٢]

إنَّ هذه الأبيات كما نلاحظ في مجملها تصوّر المشهد المأساوي الذي يهيّج المشاعر والأشجان، ويرسم صورة قاتمة لواقع مرير للشاعر السّجين خلال أيام سجنه. فالقيد هنا ثقيل، يسبّبُ الألم والذّل على حدّ سواء، وقد شبهه الشّاعر بالثعبان الأسود في التفافه حول يديه ورجليه، كما شبّه عضّه بعضّ الأسود من أثر الجروح التي أصيب جسمه بها. ولم تكن هذه المرة هي الوحيدة التي يشبه فيها الشّاعر القيد وآثاره الموجعة بالثعبان وعَضّ الأسد؛ بل نجده يشبهه به على الدوام. ومن ذلك قوله في البيت التالي:

تَعَطَّـفَ في ساقـي تعطُّـفَ أرْقَم يُسـاورُها عـضاً بأنـيابِ ضَيـغمِ[٣]

في هذا البيت، يشبه المعتمد قيده بالثعبان في التفافه حول ساقيه، كما يشبه الألم الحاصل من مسّه وحكه بالألم الحاصل من أنياب الأسود.

ويقول الشاعر أيضاً في تشبيه قيده بالثعبان:

قَدْ كانَ كالثعـبانِ رمحُك في الوغى فَـغَدا عليـكَ القـيدُ كالثـعبانِ
مُتـمدداً بحـذاكَ كُـلَّ تمـددٍ مُتـعـطِّـفاً لا رحـمة للـعاني[٤]

فالشّاعر هنا يبكي حظه السيّئ، ويخاطب نفسه ويقارن بين ماضيه الحافل بالشّجاعة والبطولة في ساحات القتال، وحاضره الأسود القاتم في غياهب السّجن الذي صار القيد له كثعبان يلتف على يديه ورجليه.

خلاصةُ القول: يصوّر الشاعران السّجينان المتألّمان مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد الأغلالَ صورة مُرَوِّعة ومخيفة، وذلك لما تركت أثقال الأغلال التي صرعتهما وطوّقتهما كرهاً من جهة، وآثار الجراح على جسديهما من جهة أخرى. والشاعر مسعود يشبّه الغلّ بالتِّنِّين في أشعاره أحياناً، كما ويشبّه المعتمد الآثار الباقية من جراح الأغلال

---

[١] – الأدهم هنا يشير إلى «الثعبان الأسود».

[٢] – ابن عباد، *ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية*، ص ٩٤

[٣] – *نفس المصدر*، ص١١١. الأرقم: الحيةُ التي فيها بياض وسواد كأنه رقم أي نقش.

[٤] – *نفس المصدر*، ص١١٥.

بأنياب الأسد الحادّة في شعره؛ ولكنّ، حلقة وصل الشاعرينِ في هذا المجال هي تصوير أغلال السجن بالثّعبان في كثير من الأحيان. وهكذا نحن نجد أنفسنا بين شاعرينِ متشابهينِ مجتمعينِ على غرض واحد، وهو تشبيه القيد ومرارته التي عانَيَاها في الأيام التي قضَيَاها في السجن، بالثعبان وعضّه.

الشّكوى من الدَّهر

دفعَ الدَّهرُ الشّعراءَ إلى التفكير والتأمل فيه متأملينَ مصائبه، فاتجه تفكيرهم في الحياة ومصير النَّاس ونزول البلاء، وضعف الإنسان إزاء مصائب الأيام، فشكل الدَّهرُ بذلك ركناً من أهمّ أركان التأمل في الشّعر، واستطاع الشّعراء بشعورهم المرهف أن يتذوقوا حلاوة الدَّهر ومرارته، فجاءت وقفاتهم الوجدانية معالم طريق لمعرفة مواقفهم من الدَّهر ومصائب الأيام، بحيث كانت طاقاتهم الفكرية والذهنية تصبّ في لوحاتهم الشّعرية لِتكشف لنا عن تأملات فكرية مختلفة. في هذا المنطلق، يؤمن بعضُ الشّعراء بأنَّ الدَّهر هو سبب الهلاك؛ كما أنَّه سبب الاضطراب الفكري والقلق الروحي. والدَّهرُ غالبٌ على الأمور كلّها، ويضيفون إليه كلّ حادثة، فيحيلون عليه باللوم والعتاب؛ كأنَّه مسؤول عن أعمالهم.[١]

فالشّكوى من الدَّهر وأهله مما عالجه الشّاعرانِ مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد في أشعارهما أيام السّجن ناسبينِ مصائبهما إلى الدّهر ومتهمينِ إيّاه بالظلم والغدر. فالتشاؤم النفسي للدهر عند مسعود سعد يجعله مشغولاً بنفسه يعكف على آلامه في أيام سجنه، وهذا اللون من شعر المعاناة والألم الذي يهتم الشّاعر فيه بِبيان آلامه النفسية، ينبع من الشّعور بغدر الدَّهر منه موقفاً سلبياً؛ فيبدأ الشّاعر بالشّكوى من الدَّهر ويتبرم به، وعندما نتعمق في بحار شعره، نجد النبرة الصارخة في رؤيته للدَّهر:

ـ همـــی هـــر زمان، اژدهــــای سپهر ز دُورم، بـــه دم درکشد چون نـهنگ
ـ چه کرده ام ای چـــرخ کز بهر من کشـــی اسب کیـــن را همـــی تنگ تنگ؟
ـ نه همخانهی آهـــــوان بـــوده ام که همـــخـــوابـــهام کردهای با پلنگ![٢]

[١]– هذا اللون الشّعري المطوي على ذمّ الدَّهر سمي«شكوى الدَّهر»أو«الدَّهريات»، حيث أصبحت فناً مستقلاً في العصر العباسي الثالث وانصرف كثيرٌ من الشّعراء إلى نظمها والإكثار منها.
[٢] – سعد سلمان، *ديوان*،ص٣٠٥. كلُّ لحظةٍ وثعبان الدّهرِ كالحوت يبلعُني مِنْ بَعيدٍ.

يلاحظ أنَّ الشّاعر السّجين يشبه الدَّهر بالثعبان والحوت ويتساءل بنار أحاسيسه عن الدَّهر الذي جَعَلَهُ في موقف مُرْهِقٍ دونَ أن يرتكب ذنباً! فالدَّهرُ رأسُ كلّ تشاؤم في شعر مسعود سعد، وهو يعتبره مصدر كلّ شرّ و خطب، ومِن هذا يظهر أنَّ الشَّاعر لا يريد الإشارة إلى أسباب حزنه و جفاء دهره و أهليه فحسب، بل يتخذ من الدَّهر محوراً يدورُ كلّ تشاؤمه حوله، فالشّاعر الذي قضى سنواتٍ كثيرةً من عمره خلف قضبان السّجن لا يرى في الدّهر شيئاً من الخير؛فهو ساخطٌ على الدَّهر متبرمٌ به ويشكو الزّمنَ باكياً حزيناً:

- **ای چرخ! ز هر گزند، رنجِ تو کشم با جــان و دلِ نژند، رنجِ تو کشم**
- **در تنگیِ حبس و بند، رنج تو کشم یکبار بگو که چند رنج تو کشم؟!**[1]

من الملاحظ في هذينِ البيتينِ أنَّ الشّاعر، تعبَ من مصارعة مشاكل الحياة ومقارعة الخطوب وقد دبَّ الوهن في جسمه وروحه في غياهب السجن حيث لا أحد يسمع شكواه، فهو يخاطب الدَّهر سائلاً عنه، كاشفاً خداعه، متشائماً بفعله، و بهذا الطريق يهدّأُ خاطره الحزين ويجبرُ قلبه المكسور.

وها هو في موضع آخر يذمّ الدَّهر السَّاحر ومصائبه الكثيرة التي أدمتْ فاهُ، فهو يعاني الدَّهر و سحره الذي أتعبه ويقول:

- **چون بارِ فلــك بست به افســون،ما را وز خانه‌ی خــود،کشیـــد بیرون ما را**
- **ازبس که بــلا نمـــود گــردون،ما را چون شیر دهانیست پُــر ازخون ما را**[2]

یا دهرُ ماذا رأیتَ منّي؟ ولماذا کلّ هذا الحقد المتــزاید علیّ لحظةً بعدَ لحظةٍ؟

أنا ما کنْتُ أبیتُ معَ الغزلان حتّی جَعَلْتَني أبیت في فراشِ النّمر.(أي ما کنْتُ مَرِحاً أقضي أیامي النساء الجمیلات فتحسدَني وتعاقبَني وتجعلَني أعاني المصائب الیومَ

[1] – *نفس المصدر*، ص٢١٩. یا دهرُ! أنتَ تعذّبني بِلَدْغِك، وأنا أُعاني العذابَ مَنْك بِقلبٍ کئیبٍ تَعِبٍ.(کلّ آلامي یأتي من ناحیتك)

أنا أُعاني عذابك في ضیق السّجن والقید، فقُلْ لي بکلّ صراحة، حتی متی أتحمّل منك العذابَ؟

[2]–نفس المصدر،ص٣٢٤.کم مِنْ مُصیبةٍأنزلهاالدّهرُعلینابمکر!وأخرجني من داري وجعلني حیران

وجعلني من کثرة مصائبه کالأسد،في امتلاء فمه بالدم!

يُلاحظ أنَّ الشّاعر يعبّر عن سَخَطِهِ مِنْ ويلات الدَّهر، فقد بلغ الحزن ذروته عندما يشبه الشاعرُ فاه بفم أسدٍ لُطِخَ بالدَّم.

وكذلك، إذا انتقلنا إلى المعتمد بن عبّاد، وجدناه كمسعود سعد سلمان، "قد شكى في شعره من الدَّهر؛ فصوَّره بأنَّه غادرٌ ومخادع لا يحفظ للكرام جميلاً، شيمته الغدرُ بالأوفياء"[١] لذا فهو مصدر متاعب للصالحين، يتمادى في إساءة المُعاملة إليهم، فيقول:

أبى الدَّهرُ أنْ يقنى الحياء وَيَندما وَأَنْ يمحوَ الذنبَ الّذي كانَ قدّما
وَأَنْ يتلقَّى وجهَ عتبي وجهُهُ بِعذرٍ يُغَشّي صفحتيه التَّذمُّما[٢]

يصوّر المعتمدُ في هذينِ البيتينِ موقفه تجاه الدَّهر منطلقاً من تجربة فردية تتمثل بمعاناته من تقلبات الحياة ومحن السّجن، فيرى أنَّه لا أمان مع هذا الدَّهر التي تتغير فيه الأحوال دائماً. قد سئم الشّاعر من حياته في السّجن وسيطرت عليه مسحة من اليأس والحزن لتكالب الخطوب عليه، فـ"يمضي في وصف معاناته شاكياً من الدَّهر، باكياً من خطوبه، متهماً إيَّاه أنَّه غير صالح للصالحين"[٣]، وغادرٌ بمن شيمته الوفاء ، فيقول:

مَضى زمنٌ وَالملكُ مُستأنِسٌ بِهِ وَأَصبحَ عَنْهُ اليوم وهو نَفُورُ
برأي مِن الدَّهرِ المضلل فاسدٍ مَتى صلحتْ للصالحين دهورُ
أذلَّ بني مَاءِ السَّماء زمانُهم وَذلُّ بني ماءِ السَّماء كَبيرُ[٤]
فَما ماؤها إلاَّ بُكاءٌ عليهم يفيضُ عَلَى الأكبادِ مِنْهُ بحورُ[٥]

فقد وجد الشّاعر نفسه في فضاء مفعم باليأس و القنوط، حيث خيّمت عليه ظلالُ الحزن و الألم وضاق قلبه من ويلات الدَّهر. فالشّاعر عندما يرى تبدل الصفاء بالتعكر و

---

[١] – عبدالله، *تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عبّاد*، ص١٥٧.

[٢] – ابن عباد، *ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية*، ص٩٠.

[٣] – عبدالله، *تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عبّاد*، ص١٧٤ .

[٤] – من المعروف أن الأسرة العبادية، التي أنشأت مملكة في إشبيلية وما حولها، وكان المعتمد بن عباد آخر ملوكها؛ "تنتمي إلى النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة، الملقب بماء السماء، وكثيرًا ما كان يمدحه الشعراء بماء السماء، مستخدمين الاسم والمعنى. (عبدالله، *تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عبّاد*، ص٣٤)

[٥] – *نفس المصدر*، ص٩٩

تبدل السّرور بالحزن و الألم، يتوجع كثيراً و ينسب ذلك كلّه إلى الدَّهر، لذلك في موقف آخر، يرى المعتمد الدَّهر مُصراً على إيقاع الأذى به، ويعمل جاهداً على دوام محنته والقضاء على كلّ أمل يراوده بالفرج القريب، إذ يقول:

تُؤمِّـــلُ للنفــسِ الشّجيــةِ فَرْجـــةً وَتأبــى الخُطـــوبُ السّــودُ إلاَّ تماديا
لياليكَ مِنْ زاهيــكِ أصفــى صحبتها كَذا صحبــتْ قَبْــلَ الملــوكُ اللــياليا
نعيــمٌ وَبـــؤسٌ ذا لِــذلــك ناســخٌ وَبعــدهما نســخُ المنــايا الأمــانيا[1]

حيث يبدو المعتمد هنا يائساً من الدَّهر وخطوبه المرهقة، لأنَّ الدَّهر يجعله في المَزْجَر ويصرّ على إيقاع الأذى به في كلّ لحظة من أيام سجنه المريرة. فيصوّر الشّاعر في هذه الأبيات موقفه السلبي تجاه الدَّهر ويتخذ من مصائب الدَّهر محوراً يدورُ كلّ تشاؤمه حوله.

خلاصةُ القول: الذي يقلّل من كآبة وألم مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد في هذه الظروف العصيبة والمرّة خلف القضبان، هو تشفّي الصّدر وارتياح النفس وانهمار العبرة التي كادت تخنقهما. والشاعران يعتبران الدّهر مصدر الآلام والمصائب فيلومانه وهما في زاوية السّجن دون حيلة.

الحنين إلى فقد الولد

المرثية من الأبْواب الدَّارجة في القصائد التي نظمها أصحابها خلفَ قضبان السّجن؛ ذلك أنَّ نفس الشّاعر السّجين مجبولةٌ على ما يُثير عواطفَها ومشاعرَها، و"الرّثاء يُخاطِب العواطف والمشاعر، ويهدف إلى تعْداد مناقب المرثي الرَّاحل، وإظْهار التفجُّع والتلهُّف عليه واستعظام المصيبة فيه".[2]

من هذا المنطلق، فرحيلُ الأبناء، وهم في ريعان الشَّباب، كثيرًا ما يترك آلامًا وأحزاناً عميقة في قلوب الشّعراء.هذاما نجده في الأشعارالتي نظمها الشّاعرانِ مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد في الأيام التي قضياها في غياهب السّجن بعيدينِ عن الأهل والدّيار.

من يتنقل بين أبيات مسعود سعد في ديوانه، يشمّ رائحةَ الحزن من موت ابنه «صالح» الذي لم ينظره القدر وتوفي في عنفوان شبابه، فيصوِّر الشَّاعر حالَه بعد فقْدِ

---

[1] – *نفس المصدر*، ص١١٧

[2] – الهاشمي، *جواهر الأدب في أدبيَّات وإنشاء لغة العرب*، ص٣٦

ولَده، الَّذي تغيَّر وذهب معه السُّرورِكلُّه، وصار متلحِّفًا بالاغتمام، لا ينفكُّ عن بُكاء ولده حتَّى الموت، فيقول:

ـصالح! اگر دل به جای جامـــه بـــدَرَم شاید که همی خون شود از غم، جگرم

ـ در دیده، من از مرگِ تو، خون‌ها دارم بر مرگِ تو، تا مرگ، خون‌هابـــخورم[١]

ثمَّ إنَّ مسعود سعد قد باح لنا بصوتٍ مُفْجِعٍ يغمره إحساس الأب المكلوم الذي فقدَ فلذة كبده، فلم يستطع الصبر بعد فقده أنْ يخففَ مِنْ لوعته، فالشّاعر يشكو من ريب المنون وسوء الحظ، و يستغرب موتَ ابنه:

صالح! تر و خشك شد ز تو دیده و لب چه بَد روزم، چه شُـــور بختم یا رب!

با درد، هزار بار کـــوشم همـــه شـــب تو مُـــردي ومن بزیستم، اینت عجب![٢]

ثمَّ يصِف مسعود سعد حالَه في السّجن وقد فارقه ابنه «صالح»، وكيف أنَّ ابتهاجه قد انتهى بموت فلذة كبده، ولم يعُد لِلحياة مذاقٌ في قلبه،وأنَّه ينتظِر الموْتَ الَّذي سيقرِّبُه من ابنه المحبوب:

ـصالـــح! پس از این، طـــرب نباید بی‌تو شاید که زدل، طـــرب نـــزاید بی‌تو

ـ جان در تـــنِ مـــن، بیـــش نپاید بی‌تو خود جان پس از این، کار نیاید بی‌تو[٣]

يُلاحظ، كيف يصوِّر مسعودُ حالَه الملولَ بعد فقْدِ ولَده، الَّذي تغيَّر وذهبَ مع موته الفرحةُ والسُّرورُ، فاستطاع الشّاعر بشكل واضح أن ينجحَ في تصوير حالته النفسية التي غلبتْ عليه بعد وفاة ابنه. والشّاعر يطلق صرخته الدَّاخلية، يتنفس من خلالها عن أوجاع نفسه التي كانت تتقطع حزناً وألماً على ما حلَّ بإبنه.

---

[١] – سعد سلمان، *ديوان*، ص٧٠٩. يا صالح! لو مَزّقتُ في رحيلك قَلْبي بَدَلاً مِنْ ردائي، يمكن أنْ يَتَلَطّخَ كبدي بَالدَّمِ مِن ألمِ فراقك. مِلء عيني الدّمُ لِموتِك، وَقلبي جريحٌ مِنْ موتِكَ إلى الأبدِ.

[٢] – *نفس المصدر*، ص٧٠٩. يا صالح! عيني ابتلّتْ بِالدّموعِ لأجلك، وشَفَتي قديَبستْ. يا إلهي أنا مسكينٌ بائسٌ سيئ الحظّ جدّاً! أسْهرُ مؤلماً دائماً، أنتَ رَحلتَ وَأنا بَقيتُ أعيشُ، و هذا مِن العجب!

[٣] – سعد سلمان، *ديوان*، ص٧٠٩. يا صالح! لا ينبغي الفرحُ بعدك، ولعلّ فؤادي لا تهزّه بُشرى وَلا بهجةٌ. ـ وأنا سألتحق بِك أيضاً ولا أرى نفسي أعيش طويلاً، فما الفائدةُ لحياتي بعدك؟

ثمّ تصوَّر الشّاعر مصابَه الكبير من غياب ابنه، وحزنَه عليْه حزناً جعلَ الدَّمعَ ينهمِر من عينيْها دون توقُّف، حتّى كأنَّه يذرف الدَّم بدل الدّمع، فتتعالى آهاتُ الشّاعر، وتتصاعد حدةُ الألم لِدَرَجَة أنَّه يريدُ أنْ يمزّقَ قميصَهُ:

در حبسِ «مرنـــج» با چنيـــن آهن‌ها صالح! بی‌تو چگـــونه باشـــم تنها!؟
گه خون گِريَم به مرگِ تو، دامن‌ها گه پاره كنـــم زدرد، پيراهـــن‌ها[١]

يُلاحظ أنَّ الشّاعر قد استطاع بشكل واضح أن يعطي تصويراً دقيقاً لأحزانه المريرة التي غلبتْ على حاله بعد وفاة ابنه صالح في سجن «مرنج»، فذات الشّاعر هنا ذات متألمة يتجدد الحزن والبكاء ضمن سياقٍ شعوري بلغ حدّ المأساة. وعلى هذا الأساس، يمكن الاستنتاج أنّه الذي يضاعف عذاب مسعود في السّجن هو الابتعاد عن أحضان الأسرة والأولاد. ويشتدّ هذا العذاب في زاوية السّجن، عندما يأتي الناعي بخبر وفات الولد إلى أسماع الأب السّجين.

وأمّا رثاء الأبناء، فمن وراء القضبان، و"من داخل ظلام السّجن، ومن ألم المحنة والقيد تتراءى للمعتمد أبعادمحنته"[٢]، لذلك، يتذكرُ المعتمد ابنيه المقتولينِ ويقول في رثائهما باكياً:

يقولونَ صَبْـــراً لا سَبيـــلَ إلى الصّبرِ سأبكي وأبكي ما تطاول مِنْ عمـــري
هَـــوى الْكوكبانِ:الْفتـــحُ ثمَّ شقيقـــه يزيدُ، فَهَـــلْ عِنْدَ الْكواكبِ مِنْ خُبْرِ[٣]

يُلاحظ هنا، كيف تفيض عيون الشّاعر بالدموع والبكاء المرّ، فيتعالى صوتُ الشّاعر الباكي المتألم الذي تسري المعاناة في أعماقه حتّى غدت جروحاً نازفةً تستعر في داخله، فاستعصى الصبر. وتبرز من خلال النصّ نفسٌ حزينةٌ تنوح ويتعالى صوتها بالبكاء وترفض الصبر والسّلوان؛ ولا ترى السّبيل إليه، فكلّ سبله تفضي إلى طريق مسدود، فكأنَّ نصحه بالصبر والتأسي أصبحَ حجةً واهيةً تتلاشى أمام هول ما يعانيه، لذلك لا يستطيع الشّاعرُ الاصطبار بعد فقد ابنيه، فيرى أنَّ عليه البكاء مدى الدَّهر:

---

[١] – *نفس المصدر*، ص٧٠٩. يا صالح! في حبسِ ((مرنج)) مَعَ هذهِ القيود، كيف أبقى دونك؟ مرّةً أبكيك دماً بملء كياني، ومَرّةً أُمزّق قْميصي ألماً وهمّاً.

[٢] – عبدالله، *تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عبّاد*، ص١٦٩.

[٣] – ابن عباد، *ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية*، ص١١٠

ينُحــنْ عَلَــى نجمينِ أُثْكِلْــتُ ذا وذا وَأصبرُ، ما للقلبِ في الصَّبرِ من عذرِ!
مَدى الدَّهرِ فليبــكِ الغــمامُ مصابَه بِصنويهِ يعذرُ في الْبكاء مَدى الدَّهرِ[١]

فالصورة المأتمية الحزينة لِنجوم السّماء في هذينِ البيتين هي انعكاس لِصورة النائحات حول المعتمد لتعزية أبنائه، فلا سبيل مع كلّ هذا إلى الصبر، لذلك ينادي الشاعر المصاب بأعلى صوته: «ما للقلب في الصبر من عذرِ!»؛ فليس للصبر سبيل إلى هذا القلب المكلوم وليس له فيه عذر، بل هو أبعد ما يكون عن هذا القلب الموجع؛ فسيبقى البكاء ما بقي من عمره.

قُتِلَ فلذتا كبد المعتمد ـ المأمون والراضي ـ أوّلَ المحنة في «قرطبة»[٢] و «رندة»[٣] على يد المرابطين وقد رثى الشّاعرُ ابنَيه عندما رأى حمامة لها فرخان، تنوح على مقربة منه، فَتَذَكَّرَ الشاعرُ ابنيه، وقال:

بكتْ أن رأت إلفــين ضمّهما وكرٌ مساءً وَقَدْ أخنى عَلَــى إلفــها الدَّهرُ
بكتْ لم ترق دمعاً وأسبلتْ عبرة يقصر عنها القطرُ مهما همــى القطــر
وَناحتْ وباحتْ وَاستراحتْ بِسرِّها وَمــا نطق الدَّهــــر يبــوحُ به ســرّ
فَما لي لا أبكــى! أمْ القــلبُ صخرةٌ! وَكَمْ صخرة في الأرضِ يجري بها نهرُ!
وَنجمانِ، زينَ للزمان،احتواهــما بِقرطــبة النكداء أو رنــدة القـــبر [٤]

يُلاحظ أنَّ المعتمد يرسم لوحةً نفسيةً كئيبة في صور تجمع بين الإنسان والطَّائر اللذين يشكلان جوّ الألم والمعاناة، وجوّ الفقد؛ فهو يذهلنا بهذا التوافق البديع بين طبيعة الانفعال الحزين و السّياق التعبيري الجيد.

---

[١]– نفس المصدر، ص١٠٥. بصنويه: الصنو معناه النظير والمثيل.

[٢]– قرطبة مدينة أندلسية تقع في الغرب الأسباني، وهذه المدينة تأسست في العصر الروماني عام ١٥٢ ق.م، و اشتهرت أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا حيث كانت عاصمة الدولة الأموية هناك. (لمزيد من التوضيح حول هذه المدينة، أنظر موسوعة المدن الإسلامية لآمنة أبو حجر).

[٣]– رندة مدينة إسبانية تقع في مقاطعة مالقة التي تنتمي إلى منطقة الأندلس. عرفت رندة ازدهاراً كبيراً إبان فترة الحكم الإسلامي للأندلس. (لمزيد من التوضيح حول هذه المدينة، أنظر موسوعة المدن الإسلامية لآمنة أبو حجر).

[٤] – نفس المصدر، ص٦٨.

ثمَّ يبكي الشّاعر على ابنيه المأمون والراضي بعاطفة صادقة ناتجة عن حزن عميق ألم بّه، ففقد المعتمد ولديه وبدأ يئنّ عليهما،كما فقد الشّاعر مسعود ولده صالح، لذلك أتى كلا الشّاعرين بهذه التجربة المُرّة، فزادت أشعارهما حرقة بهذا النّعي. فيخاطب الشّاعر المعتمدُ الغيمَ ليخفّفَ من ألمه المرير في هذه الظروف المرّة خلف القضبان، ويقول:

يا غيــمُ! عينــي أقــوى مِنْكَ تهتانا أبكــي لحــزني، و ما حُمِّلْتُ أحزانا
فنارُ برقِــكَ تــخبــو إثرَ وقــدتِها وَنارُ قلــبــي تبــقــى الدَّهر بركانا
نارٌ وماءٌ، صَــميمُ القــلــبِ أصلُهما مَتَى حَــوى الْقــلبُ نيراناً وَطوفانا؟
ضدَّانِ، ألَّــفَ صــرفُ الــدَّهرِ بينهما لَقَدْ تلــوَّن فــيَّ الــدَّهــرُ ألــوانا[1]

يبدأ الشّاعرُ كلامَهُ هنا بِخطابِ الغيم، ويرى أنَّه يفوقها مِنْ جانبين: فعينه أغزر من الغيوم قطراً، وقلبه بما يتلظى به من نار، يزري بالبرق. ويعمد الشّاعر إلى المقارنة بينه وبين الغيوم؛ فوميض البرق سرعان ما يخبو، بينما تبقى نار قلبه أبد الدَّهر، ثمَّ يستغرب الشّاعر كيف يجتمع الضدان في قلبه. تتلظى النيران داخله، ويفيض الدّمع الغزير من عينيه، ويرى أنَّ هذه مفارقة غريبة؛ فالدَّهر قد واجهه بكلِّ لون من المصائب.

تمني الموت

"الموتُ نهايةُ كلّ حي مهما طال به البقاءُ، ولعلَّه الحقيقة الوحيدة التي اتفق عليها النَّاس جميعاً رغم اختلاف عقائدهم ومذاهبهم، لذلك نجد النَّاس جميعاً يفكرون بالموت بِشكل ما، وإن اختلفت نظراتهم إليه، واختلفت حيواتهم بناء على ذلك، لأنَّه غريزة كامنة في أعماق النفس الإنسانية، كغريزة الحياة سواء بسواء، فكلّ واحد منا في فطرته الغريزتان، وإن كانت غريزة الحياة واضحة ظاهرة الأثر في حركاتنا وسكناتنا، بينما غريزة الموت، لا تظهر واضحة جليّة إلاَّ لمن أمعنَ النظر، ولم تخدعه ظواهر الأمور".[2] (شتا ينكرون، بلا تاريخ:٦٧)

من هذا المنطلق، قد يكون السّجن أقسى على النفس من واقعة الموت؛ لأنَّ الإنسان في ظلّ تجربة الموت، يظل يشعر أنَّه يفقد أهمّ عناصر الحياة وهي الحرية. والإنسان السّجين

[1] – نفس المصدر، ص٧٠-٦٩.

[2]- شتا ينكرون، *لا تقتل نفسك*، ص٦٧.

يقع تحت وطأة المشاعر القاتلة بسبب سيطرة أفكار الموت على نفسه، فيكون السّجن بمثابة مقبرة للإنسان لأنَّه يعتبر وجوده في السّجن عدماً، ومن هنا عبر الشّاعرانِ مسعود سعد والمعتمد بن عبّاد عن تجربة السّجن التي ولدت في نفوسهما شعوراً قوياً بالموت.

وإذا قابلنا بين فلسفة مسعود سعد في تمنيه الموت، وفلسفة المعتمد بن عبّاد، لَوجدنا تشابهاً، فكانت رؤية الشّاعرينِ للموت مليئة بالأفكار التي تعاني من فراق الأحباب؛ فصوّر الشّاعران في أشعارهما شقاءهما في السّجن، وما دار في أعماقهما من مشاعر صادقة، وما جرّه فراق الأسرة عليهما من الآلام التي لم يعد يري للتخلص منها.

فأخبار الأسرة لم تكن تصل إلى مسعود سعد في الحبس، فكان الشّاعر يعاني من هذا الأمر معاناةً مؤلمةً، ويقول:

ـ تيــر وتيــغ اســت بر دل وجگرم　　درد و تيــمــارِ دخــتــر و پــســرم
ـ جگــرم پــاره اســت و دل خستــه　　از غــم و دردِ آن دل و جـــگــرم
ـ نه خبــر مــیرســد مــرا ز يشان　　نه بديشان همی رســـد خــبـــرم[1]

يُلاحظ الشّاعر كيف صوّر أنَّ سوء حالته بسبب فراق أهله في السّجن، فعواطف الشّاعر في هذه الأبيات متأججة كالبركان الثائر تتبعه مشاعرُ الحزن و الأسى على آلام أهل بيته، لذلك جعل الشّاعرُ الموتَ أفضل من الحياة وحاول أن يدللَ على صحة نظرته عندما أجرى مقارنة بين الموت بوصفه راحة الجسم من عناء الدنيا ومشاقها، وبين الحياة مستقر تلك المتاعب:

جانم ز رنج ومحنتشان در شكنجه است　　يارب زرنج ومحنت بازم رهان به جان[2]

كذلك إذا نظرنا إلى شعر المعتمد بن عبّاد، نجد أنَّ الشّاعر كان يعاني التمزق في أعماقه، فراح يكتب عن أسرته، فإذا اشتدّت عليه آلام الفراق من جانب، و معاناة السّجن

---

[1] – سعد سلمان،ديوان، ص١١٥. مرضُ بنتي وَولدي وآلامهما سَهْم وَشوكة في قلبي وكبَدي. كبدي مُمَزَّقٌ وَفؤادي تَعِبٌ مِنْ هموم وَآلامِ ابنتي وَابني اللَّذينِ هما كفؤادي وَكبدي. قد انقطعتْ أخبارُهما عنّي، ولا تصلهما أخباري.

[2] – نفس المصدر، ص١١٦. عذابهما يعذّب روحي. إلهي خلِّصني مِنْ هذا العناء والنَّصَب بِقَتلي

من جانب آخر، وجد في الموت الخلاص الذي يريحه من كلّ ما يعانيه، لذلك عندما دعا له أحد أصدقائه بطول البقاء، قال في جوابه:

دعا لِـي بالبـقاء وكيـفَ يهـوى أسيـرٌ أنْ يـطـولَ بـه البـقاءُ[١]
أليـسَ المـوتُ أروحَ مِن حـياةٍ يطولُ عَلَى الشّـقيِّ بها الشـقاءُ
فَـمَنْ يكُ من هـواهُ لقاءُ حـبٍّ فإنَّ هـوايَ مِن حـتـفي اللـقاءُ[٢]

يُلاحظ، أنَّ الموت ـ الذي يكرهه النَّاس ـ صار عند الشّاعر السّجين أمنية، فعندما ساء ظنّ الشّاعر بالحياة والظروف المريرة التي يعيش فيها أهله وخاصّة بناته، اعتبر الموت أفضل من الحياة ويقول في سبب تمنيته الموتَ:

أأرغـبُ أن أعـيـشَ أرى بناتـي عـواريَ، قَدْ أضـرَّ بـها الحـفاءُ؟
خَـوادمَ بنـتِ مَـنْ كانَ أعلَـى مـراتبِه ـ إذا أبـدو ـ الـنّداءُ[٣]
وَطـردُ النَّـاسِ بيـنَ يـدي ممري وكفُّـهُـمُ إذا غَـصَّ الفِـناءُ
وَركـضٌ عَـنْ يمـينٍ و شـمالٍ لِنـظمِ الجيـشِ إن رُفِـعَ اللواءُ
يُـعَـنّـيـه أمـامٌ أو وراءٌ إذا اختـلَّ الأمـامُ أو الـوراءُ[٤]

واللافت للنظر أنَّ الشّاعر لا يكره الموت، بل على العكس يتمنى قربه ؛ وذلك لأنَّه رأى أنَّ الموت يخلصه من الخطوب والكروب التي كانت تصيبه في الحياة، فكان لأسر

---

[١]- كان الوزير أبو العلاء بمراكش، قد استدعاه أمير المسلمين لعلاجه؛ فكتب إليه المعتمد راغبًا في علاجِ السيدة ومطالعة أحوالها بنفسه، فكتب إليه الوزير مؤديًا حقه، ومجيبًا له عن رسالته، ومسعفًا له في طلبته، واتفق أن دعا للمعتمد بطول البقاء. المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتحها إلى آخر عصر الموحدين* ، ص ٢١٨.

[٢] – ابن عباد، *ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية*، ص٩٠.

[٣]– روى المراكشي أنّ أكرم بنات المعتمد أُلجِئَتْ أن تستدعي غزلاً من النَّاسِ تسدُّ بأجرته بعض حالها، فوافق أن أُدخل عليها مرّةً غزلٌ لبنتِ عريف الشرطة عند المعتمد الذي كان يزع الناس بين يديه يوم بروزه، ولم يكن المعتمد يراه إلا ذلك اليوم. المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتحها إلى آخر عصر الموحدين* ، ص ٢١.

[٤] – نفس المصدر، ص٩١.

المعتمد وقع كبير على نفسه، وقد تألَّم الشّاعر فيه ألماً كبيراً من فراق أهله، جعله يزهد في الحياة ويرغب في الموت.

خلاصةُ القول: إنّ ابتعاد الأسرة والأولاد وتّذوّق أنواع المرارة والصعوبات في فضاء السّجن الخانق، زاد الشاعرينِ مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد كئابة واشمئزازاً من الحياة وزخارفها، فكانا يتمنيّان الموت في كلّ لحظة.

التجلّد على البلاء و التبرُّأ من الدُّنيا

الإنسان معرض لمواجهة الشّدائد والمحن، وعندما تنزل المصائب والمحن والكربات بالإنسان فإنَّ الدّنيا تظلم أمام عينيه، وتضيق عليه الأرض بما رحبت. والنّاس يختلفون في استقبال الشّدائد فَمِنهم من يتبرم ويتضجر، ومنهم من يصبر و يتجلد. فالصبر ستر من الكروب، وعون في الخطوب في كلّ الأحوال.

من هذا المنطلق، عندما يجد المعتمد نفسه في سجن مظلم؛ فيذهب به التفكير بعيدًا؛ ليكوِّن من خلاله فلسفة يتلهى بها في سجنه من ناحية، ويعتبر بها من شاء العبرة من ناحية أخرى. ومما زاد من عمق هذا التفكير، وبالتالي من عمق الفلسفة؛ ما أُثِر عن المعتمد من صبرٍ على المصيبة، فلم يكن المعتمد، في سجنه، مستسلمًا ولا خائفًا في كثير من الأحيان، بل كان ثابت العزم ورابط الجأْش. ومن مظاهر هذه الفلسفة، كيفية مواجهة المحنة؛ إذ يرى المعتمد أن السّبيل إلى مواجهة ذلك، يكمن في الصبر والجلد دون يأس:

وَاصبــرْ فإنــكَ مِنْ قومٍ أولي جلدٍ إذا أصابتــْهم مَكْــروهةٌ صَــبــروا[١]

كذلك عندما ننتقل إلى شعر مسعود سعد نجده كالمعتمد بن عبّاد يواجه مصائبه في السّجن بالصبر والجلد في كثير من الأحيان:

چون بارِ بلايى كه قــضا بر تو نهاد تن دار، چون كوه باش، وبى باك چو باد[٢]

أما نظرة المعتمد إلى الدُّنيا نفسِها، فهي أنّه لا يراها تستحق كلّ الاهتمام، فهي حقيرة في نظره، وهو يستغرب ممن يركن إليها، ويسعى جهده لأجلها؛ فيحذر من الانخداع بمظاهرها الفانية، ويقول:

---

[١] – نفس المصدر، ص٣٧.

[٢]–سعدسلمان،ديوان،ص١٨٣.عندمايحمّلك القضاءُعباً ثقيلاً،فاستقمْ،وَكُنْ كالجبلِ، وَلا تُبالِ كالرّياحِ.

أرى الدُّنــيا الدَّنيــــة لا تــواتـــي فأجــمِــلْ في التّــصرفِ والطِّـــلابِ
وَلا يغــررْكَ، مِنْها، حســنُ بــردٍ لَهُ علمان مِــن ذهــب الذّهـــابِ
فَــأولّـــها رجــاءٌ مِنْ سَــــرَابٍ وَآخــرهـــا رداءٌ مِـــنْ تُــرابِ[1]

كذلك، إنَّ المصائب التي حلتْ بِمسعود سعد سلمان في السّجن، دفعتهما إلى التأمل في واقع الحياة، والاعتبار من تقلّبات الدَّهر وصروفه؛ فإنَّه يدعو نفسه إلى الصبر على المصائب، لأنَّ الدُّنيا مجازيةٌ ومصائبها سريعةُ الزَّوالِ:

اى تن!جزع مكن كه مجازى است اين جهان
وى دل!غمين مشو كه سپنجى است اين سراى(٢٣)[2]

فالدّنيا ليستْ سوى منزل يستريح بها المسافر، ثم لا يلبث أن يتركها مغادراً فى رحلته نحو الآخرة، فهي ظلّ سريع الزّوال، لذلك يُثلجُ الشّاعر مسعود صدرَهُ في أيام سجنه بأنَّ كلَّ نفسٍ ذائقةُ الموت وهذه الرؤية تخفف من آلام الشّاعر:

دل بدان خُوش كنم كه هيچ كســى در جهان، عُــمرِ پايدار نــداشــت[3]

وشبيهٌ برؤية مسعود رؤية المعتمد، فالدُّنيا عند المعتمد سريعة العَطَب ومنقلبة الأحوال، لذلك إنَّه علَّقَ أمله في غياهب السّجن على أنَّ العمر سينقضي وكلّ إنسان سيدركه الموت:

سَيُسلِي النَّفسَ عَــمَــنْ فات عِلْمِي بِــأنَّ الْكُــلَّ يــدركهُ الْفَــناءُ[4]

وتبدو معنويات الشّاعر هنا عالية؛ فنجده صابراً على السّجن، ولم تكن معنويات الشّاعر عالية إلاَّ بسبب علمه بأنَّ الدّنيا سريعة الانقضاء، وكلّ نفسٍ ذائقة الموت، فالشّاعر بهذه الرؤية يجبر خاطره الحزين.

---

[1] – ابن عباد، *ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية*، ص٩٣

[2] – سعد سلمان، *ديوان*، ص٥١ يا جَسَدِي! لا تضطربْ، فهذه الدّنيا صورةٌ لا حقيقةَ لها، ويا قلبُ! لا تحزنْ، فإنّ دارَ الدّنيا تمرُّ مُسرعةً. سپنجى: هذا المصطلح مشتق من كلمتي (سه: ثلاث) و (پنج: الخامس)؛ فأراد الشّاعر بهذا المصطلح أن يقولَ إنَّ الدّنيا سريعة الزّوال، فهي ثلاثة أو خمسة أيّام.

[3] – همان، ص٦٠ الترجمـــة: أنا أثلجُ صَدْري بِأنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذائقةُ الموت ولا يعيش أحدٌ للأبد.

[4] – ابن عباد، *ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية*، ص ٩٠

خلاصةُ القول: ومن جهة أخرى، مع كلّ صعوبات السّجن وفراق الأحبّة، كان الشاعران مسعود سعد والمعتمد بن عبّاد يدعوان إلى الصبر والمثابرة. والنّقطة المهمّة أنّ فوت فرص الزمان وآلامها ومآسيها، كان السبب بأن نرى في أشعارهما بوارق التّفاؤل والأمل والتحدّي أمام صعوبات الحياة داخل السجّن.

نتائج البحث:

من خلال ما قام به البحث في حبسيات مسعود سعد سلمان وأسريات المعتمد بن عبّاد، يمكن استنتاج ما يأتي:

ـ تُعدّ (الحبسيات) و(الأسريّات) من الآثار الأدبية القيّمة التي تعرف بعواطفها الصّادقة في الأدبينِ الفارسي والعربي، لأنَّ هذه الأشعار تأخذ أفكارها من الأحداث التي واجهها الشّاعران مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد في السّجن، وتمتاز بالميزات التي جعلتها نوعاً خاصّاً من الأدب.

ـ إنَّ الوحشة التي واجهها الشّاعرانِ مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد في السّجن توفر لهما الفرصةَ للغوص في الأمور التي تؤلمهما في هذه الوحشة، فهناك آلام نفسية وجسمية كثيرة يعاني منها الشّاعرانِ، وهذه الآلام ساعدتْ على إطلاق روحهما الشاعرة وأطلقتْ عنانها لتعبّر عن واقعهما في السّجن من خلال الكلمات الشّعرية. على هذا الأساس يمكن الاستنتاج أنّ السّجن وما يترتب عليه من الآلام والمصائب كان السبب الرئيس لإنتاج (حبسيات) مسعود سعد سلمان و(أسريات) المعتمد بن عبّاد، فهناك مضامين مشتركة طرحها الشّاعرانِ فيما أنشداه في السّجن؛ مثل: صعوبة العيش في غياهب السّجن، ومرارة القيود والسلاسل وأثرها في الروح والجسم، والشّكوى من الدَّهر والتبرأ من الدّنيا، ورثاء الأولاد والأقارب، وتمني الموت.

ـ إنّ ابتعاد الأسرة والأولاد والتّذوّق بأنواع المرارة والصعوبات في فضاء السّجن الخانق، زاد الشّاعرينِ مسعود سعد سلمان والمعتمد بن عبّاد كآبة واشمئزازاً من الحياة وزخارفها، فكانا يتمنيّان الموت في كلّ لحظة. ولكن مع كلّ صعوبات السّجن وفراق الأهل، كان الشّاعران يدعوان إلى الصبر والمثابرة، و نرى في أشعارهما بوارق التّفاؤل والأمل أمام صعوبات الحياة فى كثير من الأحيان.

ـ يشتدّ عذاب الشّاعرينِ مسعود والمعتمد في السّجن عندما يأتي الناعي بخبر وفاة الولد إلى أسماع الأب السّجين. فكلا الشّاعرين أتيا بهذه التجربة المُرّة، فزادت أشعارهما حرقة بهذا النّعي. فالشّاعرانِ يعتبران الدّهر مصدر الآلام والمصائب فيلومانه وهما في زاوية السّجن دون حيلة.

ـ يصوّر الشّاعرانِ في وحشة السّجن الأغلالَ صورة مخيفة، وذلك لما تركت أثقال الأغلال التي صرعتهما وطوّقتهما كرهاً من جهة، وآثار الجراح على جسميهما من جهة أخرى. ولو أنّ الشاعر مسعود يشبّه الغلّ بالتِّنّين في أشعاره أحياناً، كما ويشبّه المعتمد الآثار الباقية من جراح الأغلال بأنياب الأسد الحادّة في شعره؛ ولكن مع ذلك، حلقة وصل الشّاعرينِ في هذا المجال هي تصوير أغلال السّجن بالثّعبان في كثير من الأحيان.

قائمة المصادر والمراجع

١ـ ابن عبّاد، المعتمد، *ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية*، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبدالمجيد، القاهرة: المطبعة الأميرية. ١٩٥١م.

٢ـ أبو حجر،آمنة،*موسوعة المدن الإسلامية*، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

٣ـ أبوخليل، شوقي،*معركة الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين*، مكتبة رفوف الكتب، ١٩٩٣م.

٤ـ أمين، أحمد، *ظهر الإسلام*، المجلد الثاني، القاهرة: مطبعة خلف، ١٩٥٨م.

٥ـ البرزة، أحمد مختار، *الأسر والسّجن في شعر العرب (تاريخ ودراسة)*، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٦ـ الزركلي، خيرالدين، *الأعلام*، المجلد السابع، بدون ذكر الناشر، د.م ، د.ت.

٧– زرين كوب، عبدالحسين، *با كاروان حلّه*، تهران: انتشارات علمى، ١٣٨٦هـ.ش.

٨ـ الزغلول، محمد أحمد، *تأثير الأدب العربي في أشعار الشاعر الفارسي مسعود سعد اللاهوري*، مجلة الآداب الاجنبية، دمشق، العدد ١٢٨، ٢٠٠٦م.

٩–سراج، منهاج الدّين، *طبقات ناصرى*،تصحيح عبدالحى حبيبى،اساطير، ١٣٨٩هـ.ش.

١٠ـ سعدسلمان،مسعودسعد،*ديوان*،تصحيح رشيدياسمى،تهران، نگاه، ١٣٧٤هـ.ش.

١١ـ السعودي، محمد سليمان، وخالد سليمان الخلفات، *أسريات المعتمد بن عبّاد (دراسة نقديّة)*، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢٧، العدد الأول والثاني، ٢٠١١م.

١٢ـ سهيلى خوانسارى،أحمد،*حصار نامى(شرح حال مسعود سعد سلمان)*،طهران،انتشارات الإسلامية،د.ت.

١٣ـ شتا ينكرون، بيتر، *لا تقتل نفسك*، ترجمة نظمي راشد، القاهرة، دار الهلال، د.ت.

١٤-صفا، ذبيح الله،*تاريخ ادبيات درايران*،جلد١،تهران:انتشارات فردوس، ١٣٦٧هـ.ش.
١٥- ظفري، ولي الله، *حبسيه در ادب فارسى از آغاز شعر فارسى تا پايان زنديه*، تهران، نشر امير كبير، ١٣٧٥هـ.ش.
١٦- عبدالله، عامر، *تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عبّاد*، الأطروحة التي قدمت استكمالاً -لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية بفلسطين، ٢٠٠٤م.
١٨- فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي (الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر ملوك الطوائف)*، المجلد الرابع، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.
١٩- فروزانفر، بديع الزمان، *سخن وسخنوران*، تهران: انتشارات خوارزمى، چاپ چهارم، ١٣٦٩هـ.ش.
٢٠-الكتاني،علي المنتصر،*انبعاث الإسلام في الأندلس*،بيروت:دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.
٢١- مرادى، محمد هادى، وصحبت الله حسنوند، *روميات أبي فراس الحمداني وحبسيات مسعود سعد سلمان*، مجلة التراث الأدبي، السنة الأولى، العدد الثاني، دانشگاه آزاد واحد جيرفت، ١٣٨٨هـ.ش.
٢٢- المراكشي، عبدالواحد، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتحها إلى آخر عصر الموحدين*، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣م.
٢٣- مؤنس، حسن، *سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس*، مصر: مكتبة الثقافة الدينية للنشر، ٢٠٠٠م.
٢٤- الهاشمي، أحمد إبراهيم، *جواهر الأدب في أدبيّات وإنشاء لغة العرب*، مؤسَّسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی